فيه يضرب المندائيون اوتاد خيمتهم على ضفة نهر

الدهفة ديمانة.. يوم التعميد الذهبي

الناصرية / حسين كريم العامل

حين وجدت مكان تعميد الصابئة المندائيين في الناصرية مهجورا في يوم التعميد الذهبي (الدهفة ديمانة) استغربت الامر وخلت ان خللا ما قد اصاب ذاكرة التقويم واني لم اكن موفقا في تقدير وقت المناسبة. لكني حين توجهت الى المندى القريب علمت ان المندائيين اتخذوا مكانا اخر تحت افياء الجسر السريع ، وانهم هجروا مكانهم المعتاد الذي لا يبعد سوى عدة خطوات عن مركز عبادتهم بسبب الطحالب والنفايات وكسر الزجاج التي حاولوا التخلص منها طوال اليوم الذي سبق يوم التعميد لكنهم لم يفلحوا في ذلك

زهريثة

تحت تقاطع جسرنا السريع مع نهر الفرات ضرب المندائيون يوم ٢٢ ايار الماضي اوتاد خيمتهم على شاطئ النهر.

الخيمة في مناسبة كهذه عادة ما تغص بالمندائيين من كلا الجنسين ومن مختلف الاعمار لكن اللافت للنظر هذه المرة ليس حضور المرأة المندائية المتميز في هذه المناسبة وانما انطلاق زغاريدها عند انتهاء الشيخ من تعميد احد الاطفال.

وحين سألت صديقي المندائي (ابو ميلاد) عن سر انطلاق هذه الزغاريد وهل هي جزء من طقوس التعميد قال :

ان زغاريد النسوة لا تدخل بتاتا ضمن طقوس التعميد لكنها تعبر عن فرحة ذوي الطفل من النسوة بهذه المناسبة التي لولاها لا يمكن للطفل ان يكون مؤهلا للدخول في الديانة المندائية إذ يمنح بعد تعميده الاول الاسم الديني (المواشة) ويصبح مندائيا حقيقيا.

وتقول الليدي دراور في كتابها (الصابئة المندائيون) عن تعميد الاطفال في الدهفة ديمانة :

(تفضل بعض الامهات التقيات ان يجري التعميد للطفل بعد اليوم الثلاثين لانه اذا حدث ان مات دون تعميد فلن يذهب الى عوالم الانوار.

ويطلق المندائيون على اول تعميد للفرد اسم (تعميد زهريثة) وهو التعميد الذي يدخل الفرد ضمن مجموعة المندائيين ومن دونه يبقى معلقا.

اثناء حديثنا عن تعميد الاطفال علت الهلاهل والزغاريد ثانية وتلاقفت احضان النسوة الطفلة روز وليد (٦ اعوام) عند خروجها من النهر بعد ان اكملت طقوس التعميد على يد الشيخ الذي حضر من مدينة العمارة لتعميد ابناء الطائفة، وقد اصبحت (ملواشتها) أي اسمها الديني (ممانى بث شارت) وبهذا التعميد دخلت الدين المندائي واصبحت روز صابئية.

الدهفة ديمانة

تشير مصادر المندائية، ومنها كتاب الليدي دراور، الى ان العيد الذي يأتي بعد ٩٠ يوما من (البنجة) أي في الاول من شهر (هطية) المندائي هو عيد الدهفة ديمانة، وهو احتفال بتعمد (ادام) وفيه يجب على الاتقياء ان يتعمدوا كأسلافهم. وقد حدثنا الاستاذ رحيم خيري على الرغم من انشغاله بمساعدة الشيخ بتلقين النسوة اللائي كن يطفن حول الدرفش عن هذه المناسبة قائلا :

الدهفة ديمانة او عيد التعميد الذهبي هو اليوم الذي تعمد فيه الملاك (هيبل زيوا) جبرائيل الرسول، مبارك اسمه في عالم الانوار، عند عودته من عالم الظلام وهو اليوم الذي تعمد فيه ابونا ادام مبارك اسمه من قبل الملاك هيبل زيوا، وكذلك هو اليوم الذي تعمد فيه الانبياء شيتل، سام، ادريس واخرهم ابونا يحيى ابن زكريا مبارك اسمه. وفي هذه المناسبة يمارس المندائيون جميع الطقوس الدينية من تعميد وصلوات وتقوية الاواصر والصلات الاجتماعية، وكذلك يقومون بعمل اللوفاني (الثواب على ارواح الموتى) والواجب يحتم على كل مندائي ان يتعمد في مثل هذا اليوم فالذي يتعمد بهذه المناسبة بملابس دينية جديدة (رسته) ويحافظ على الكشطة المباركة (العهد) تحسب له ٧٠ صباغة أي ٧٠ تعميدا وفي هذه المناسبة يتعمد الاطفال عمادهم الاول ليصبحوا مندائيين.

انطباعات

وعن انطباعاته في هذا اليوم حدثنا الاستاذ كامل فعيل حطاب الذي يحمل الاسم الديني (ادم زهرن برشارت سميت) قائلا:

يوم جميل في ذكرى دينية مقدسة يجتمع فيه غالبية ابناء الطائفة على شاطئ النهر ابتهاجا بهذه المناسبة، حيث يصطبغ الجميع لغسل الذنوب وطلب المغفرة.

وعن ذكرياته في هذه المناسبة قال :

اتذكر يوم جاءت بي والدتي وانا بعمر ٧ سنوات الى شاطئ النهر وقد كنت يومها فرحا باللباس الديني (الرستة) ومبتهجا لوجود اقراني من الاطفال وقد تعاظمت فرحتي بعد منحي الاسم الديني وتصاعد زغاريد النسوة.

التعميد

وعن اهمية الماء في شعائر المندائيين قالت الليدي دراور في كتابها الشهير:

(ان الطقس الرئيس في شعائر المندائيين هو الاغتسال في الماء الذي لا يعد رمزا للحياة فحسب بل، الى درجة معينة، الحياة نفسها، وقد قال لي احد كهان الصابئيين يوما ان الارض تشبه امرأة وتشبه السماء الرجل لانه يجعل الارض خصبة).

وتشير الاوراق التي وزعها مجلس شؤون طائفة الصابئة المندائيين في ذي قار الى ان التعميد هو ولادة ثانية فمن خلال رمز الماء الجاري الذي يغطس فيه المندائي تتحد نفسه بوحدة الحي في عالم الانوار وتقوى وتشمخ في النزاهة والاخلاص والايمان وتغفر الخطايا والاثام والذنوب باسم الحي وتجعل الانسان طاهرا مؤمنا... ففيها تستجاب كل الدعوات الصادقة التي يناجي بها المؤمن ربه بقلب نقي وفيها تتحد ذات المؤمن بمثيله النوراني.

وعند تدقيقنا المصادر التاريخية تبين لنا ان الارتماس في الماء كجزء من الطقوس الدينية كان يمارس في العراق قبل ولادة المسيح بالاف السنين مع اختلاف واضح في مضمون الصلوات المصاحبة لطقس التعميد حيث كانت الصلوات تختلف من دين لاخر.

وعموما يمارس الصابئة المندائيون طقوس التعميد بوجه عام في ايام الاحاد والمناسبات الدينية فقط وبحضور رجل دين.

وقد حدثنا الاستاذ حكيم سليم حنظل رئيس مجلس طائفة الصابئة المندائيين في ذي قار عن ذلك قائلا:

لا يمكن اجراء طقوس التعميد ما لم يحضر رجل دين حاصل على درجة (الترميذة) في الاقل، وفي حالة عدم حضوره لا تتم مراسيم التعميد كما لا يتم التعميد الا في ايام الاحاد والمناسبات الدينية، لكن في حالات الضرورة القصوى يمكن اجراؤه في يوم الخميس فقط.

وعن سبب اقتصار التعميد في الاوقات الاعتيادية على يوم الاحد قال :

يوم الاحد يوم مقدس في الديانة المندائية فهو يوم تكوين الخليقة وهو اول ايام الاسبوع المندائي

وعن اختلاف التعميد بين الرجل والمرأة اوضح انه:

لا يختلف تعميد الرجل عن المراة عموما وطقوس التعميد واحدة في الديانة المندائية لكلا الجنسين وكذلك الصلوات والتراتيل مبيناً ان الاختلاف الوحيد هو اختلا ف غطاء الراس فقط، فالرجل يلبس عمامة والمرأة تلبس الفوطة.

الآس

عديدة هي استخدامات نبات الآس في الديانة المندائية فهو يستخدم على سبيل المثال في طقوس التعميد والاعراس، وفي ختم سرة الطفل بعد تعميده الاول، وفي حالة الوفاة ايضا.

وياتي استخدامه في هذه المجالات كونه مادة طاهرة ومطهرة وقد حدثنا عن ذلك الدكتور مشتاق زامل قائلا:

تستخدم اغصان الاس والزيتون بكثرة في الطقوس المندائية لأنها نباتات طاهرة تعد رمزا من رموز الحياة بعد ان جلبتها حمامة الطوفان الى النبي نوح. كما انها من الناحية الطبية مادة دباغية مطهرة وذات رائحة زكية، فالمندائيون لا يستخدمون الآس في طقوس التعميد فقط وانما في ختم سرة الطفل والاعراس وصنع التاج الذي يوضع تحت عمامة المشرف على الموت.

والكلمات التي يرددها المندائيون حينما يشمون نبات الآس او أي نبات عطري هي (ريهة ادهي بسم) أي رائحة الحياة منعشة

تشير دراور الى ان الكتابات التصويرية التي تمثل انساناً يشم غصنا قد وجدت في الوركاء على لوح يعود الى ما قبل التاريخ.

وبعد

اذن لم يعد مستغرباً سكن المندائيين عند شواطئ الانهار وتقديسهم الماء الجاري الذي يمنح الخصب والحياة ويطهر الاجساد من الارواح الشريرة ، لكن ما لاحظناه ان شواطئ الانهار، ولاسيما بعد ان طالتها جميع انواع الملوثات هي بامس الحاجة الى الاهتمام والتأهيل ليعود ماؤها نقيا عذبا ويمنح المتعمدين الطهارة.

تحت الضوء

في تقرير اممي

التلوث في العراق الأسوأ عالمياً

عامر القيسي

يقول مسؤول في الامم المتحدة ان مشكلات العراق البيئية من بين أسوأ المشكلات التي يواجهها العالم". وقبل ان يكشف لنا هذا المسؤول ابعاد هذه الحقيقة المرعبة، نسأل: هل كانت هذه الحقيقة بعيدة عن اذهاننا؟ الم نتلمسها يومياً في الاشكال المتعددة لتلوث البيئة عندنا؟

ربما لم نكن نعرف ان مشاكلنا البيئية هي الأسوأ في العالم لكننا نعرف جيداً، ان مياهنا ملوثة، وهواءنا ملوث وتربتنا ملوثة، وحتى الطعام الذي نتناوله ملوث على نحو ما. فما دام الكائن الحي هو صنيعة الماء، فهذا يعني استنتاجاً: ان التلوث قد تسرب إلى اجسادنا باشكال متنوعة!

ماذا نفعل ونحن مشروع تلوث مستمر؟

"بيكاها فستو" رئيس قوة المهمات التابعة لبرنامج الامم المتحدة للبيئة يقول: "من المستحيل تقريباً تحقيق أي تحسن في ظل الاوضاع الامنية في العراق".

هل نستسلم لقدرنا اذن؟ هل نستسلم للمواد الكيمياوية التي تسربت إلى مياهنا الجوفية، ولاشعاعات ذخائر اليورانيوم المستنفد التي ابتلينا بها من حروب الطاغية، وللسحب السامة التي تحوم حولنا، للهواء الذي نتنفسه الحاصل إلى صدورنا ما لا نعرف من تلوثات بايولوجية وكيمياوية للصرف الصحي الذي يذهب إلى مياه دجلة، والفرات فيحولها من رحمة إلى نقمة، للمركبات الكيمياوية التي دخلت إلى بيوت الناس!

المواطن غير مكترث، لانه لا يعرف ماذا يحصل له ومن ثم فهو لا يعرف ماذا يفعل المسؤولون غير مكترثين، لانهم بلا حول ولا قوة، متلفعين بعباءة التخصيصات المالية.. المنظمات الدولية المهتمة لا ترغب بارسال خبرائها إلى مذابح الارهابيين، وهو العمل الوحيد المستمر بكل نشاط ودون كلال. ان هذا يعني استمرار التلوث وزيادة نسبته في كل تفاصيل حياتنا. الزرع والضرع كما يقال.!

حدثني احد خبراء معالجة تلوث البيئة، بان للامريكان مؤسسة خاصة تعالج قضية الاطارات المستهلكة، وتحولها من نقمة إلى نعمة، اذ يجري التعامل معها بكل ما يمنحهم العلم من حلول سحرية، فيحولونها، لتستفيد منها صناعاتهم الاخرى او يسوقونها بعد تقطيع وتعليب وتعامل كيمياوي ولتستخدم في صناعات اخرى خارج بلادهم، ومن ثم فهي مورد اقتصادي اضافي، بينما هي عندنا، مساكن للقوارض في اماكن طمرها، فضلاً عن قدرتها الغريبة على خلق انواع جديدة من البكتريا.

كان قائدنا الهمام يستخدمها في حروبه للتصدي لطائرات الشبح بعد ان يملأ صدورنا بسمومها عن طريق حرقها.

يقول تقرير للامم المتحدة: "ان العراق غير قادر على الالتزام بمعايير التلوث بسبب حربين سابقتين وعقوبات كاسحة، استمرت أكثر من عشر سنوات، الحقت اضراراً بالغة بالبيئة بما في ذلك نهرا دجلة والفرات" واخطر ما قاله التقرير ان "ستة آلاف برميل من المواد الكيمياوية في مستودع الدورة ببغداد وثلاثة آلاف برميل مخزن بمركبات نووية. في مجمع التويثة، قد احرقت او سرقت وتم تداولها بين الناس"!

الموت اذن يتربص بنا في كل مكان، في سلسلة متواصلة، تبدأ عادة من حنفية الماء ولا نعرف إلى اين تنتهي!.

الاحاديث وحدها لا تكفي. وبرامج الاحلام لن تبعدنا عن الخطر خطوة واحدة... المطلوب بكل وضوح، برامج واقعية، ممكنة التطبيق وذات نتائج سريعة ملموسة، باي قدر كان.

فاستعمال شمعة في الظلام افضل من لعنه باستمرار!

في العمارة تحولات عجيبة لشارع المعارف سابقاً التربية حالياً

من المكتبات والمقاهي الثقافية إلى عربات (الحاجة بربع!)

ميسان / محمد الحمراني

في الخمسينيات سمي بشارع المعارف لوجود مديرية معارف ميسان فيه ، ولوجود مدرسة فيصل الاول ومدرسة النبراس الابتدائية ومدرسة السيدة زينب وثانوية البنات واخيراً ثانوية الفنون البيتية التطبيقية.

اجتماع المديرية وهذه المدارس جعل من الاسم مناسباً. بعد ثورة ١٩٥٨ تغير اسم المعارف إلى التربية ، ولحق هذا الاسم باسماء مديرياتها كلها ، فالتحق هذا الاسم بالشارع. وحتى اليوم يطلق العديد من كبار السن في العمارة على الشارع اسم (المعارف) بينما الاجيال الجديدة يسمونه شارع التربية.

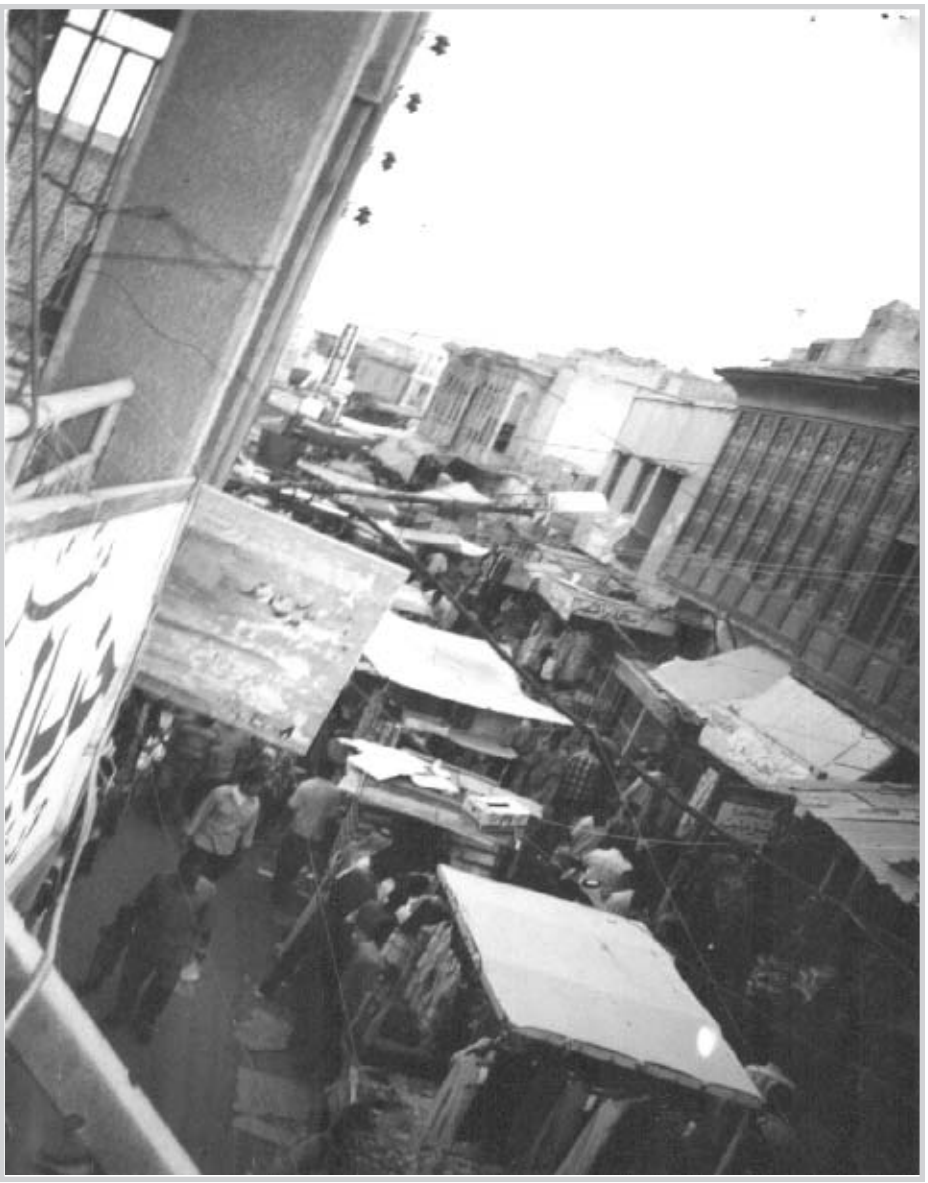

حديث عن شارع المعارف

ما المميزات التي تميز شارع المعارف في الخمسينيات والستينيات؟

انه شارع ثقافة المدينة، ففيه فتح العديد من المكتبات التي حدثنا عنها الاستاذ عبد الكريم نوري شنين قائلاً: كانت توجد مكتبة كبيرة للاستاذ محمد جعفر النقدي ومكتبة عبد الرحيم الرحماني الموجودة إلى الآن وسميت بـ (العصرية) وصاحبها حيدر حسين واضاف: من المكتبات المتميزة مكتبة الشيخ مبذر الانصاري الذي هجر إلى ايران. وكانت هذه المكتبات اماكن جذب للمثقفين من ابناء المدينة، وبين هذه المكتبات توجد عدة مقاه لكل مقهى خصوصياته، فمقهى الحاج (شنون) مكان لالتقاء المعلمين وفيه يجلس بعض المثقفين من امثال: انور خليل السامرائي، وشوكت الربيعي، ومالك المطلبي، وصبيح عبود.

اما اشهر المقاهي الثقافية التي كان يجتمع فيها الشيوعيون فهو مقهى (نوري شنين) وفيه يجلس كل من: سلام عبود، فالح الحمراني، فاضل سوداني، رحمان سلمان وسلام ومنهم مسافر وفي هذا المقهى تجد الحوارات الثقافية والسياسية تجمع الاسماء التي ذكرتها.

وحين سألت الاستاذ عبد الكريم نوري شنين عن اماكن الجذب الاخرى قال: من اهم اماكن الجذب الثقافية كان صالون حلاقة خليل رشيد، وهو شاعر معروف، وفي هذا الصالون يجتمع العديد من الادباء، حتى ان الصالون اطلق عليه الصالون الثقافي واغلب زبائنه ممن يودون الحلاقة ما ان يشاهدون هيئات الادباء الغريبة حتى يعدلون عن رأيهم ويغادرون ناجين بانفسهم من الثقافة والحلاقة بينهما.

يوجد في هذا الشارع محل الخطاط عبد الرضا القرملي الذي كان يتردد عليه عدد من الخطاطين من ضمنهم الخطاط الكبير عبد الكريم عشير، وهو استاذ لأغلب الخطاطين في العمارة. ومن المحال الشهيرة في شارع المعارف محل عزيز الشكرجي الذي اشتهر بتشغيل اسطوانات محمد عبد الوهاب على امتداد اليوم كذلك محل سيرا المختص ببيع الراديوات من نوع (سيرا)، الذي النصف اسم ماركته الهولندية باسمه، ثم محال كاظم وسلمان الحشي لبيع الكهربائيات، ثم المعمل الوحيد لبيع الثلج لصاحبه الحاج موسى محمد جعفر. ونتيجة للصبغة الثقافية التي تأطر بها هذا الشارع بدأ بعض الاطباء يرغبون في الحصول على شقق لتصبح لهم عيادات، فحصلوا على غرف في بيوت الشناشيل التي تحيط الشارع.

واغلب هؤلاء الاطباء من الغرباء والمبعدين السياسيين واشتهر منهم (متى يعقوب) المختص بمعالجة مرض التدرن، وحكمت المختار طبيب الاطفال، الطبيب صبري شكري المختص بمعالجة الاسنان والطبيب اديب الفكيكي. مقابل هذا انتشرت بعض الصيدليات قرب عيادات الاطباء منها: صيدلية هري وصيدلية كريم وصيدلية عزيز السعدي. ومن الاطباء من اصحاب الاختصاصات النادرة الدكتور (اديب سليم سمعان) المختص بالامراض النفسية.

توضيح عن المكان

يمر شارع المعارف وسط محلة التوراة التي كان يسكنها في بداية القرن الماضي اغلبية يهودية ومسيحية، والشارع بطول كم واحد ويبعد مسافة قريبة عن نهر دجلة ويمر وسط سوق العمارة المسقوف، واغلب بيوت الشناشيل المحيطة بالشارع قام ببنائها (خلفات) يهود. من شماله يلتصق شارع المعارف بشارع بغداد ومن جنوبه يندمج مع محلة الجديدة وهو محاذي شارع دجلة الذي يعد من اهم الشوارع في العمارة، ويوجد فيه عدد من الفنادق التي يرتادها اهالي القرى عندما يأتون لقضاء حاجاتهم في المدينة.

شارع التربية اليوم

رافق انتشار الاطباء اختفاء العديد من المكتبات التي ذكرناها وهاجر اغلب المثقفين من المدينة فاصبحت المقاهي الثقافية اماكن يرتادها الجنود، وغالباً ما يقف على ابوابها افراد الانضباط العسكري ورجال الامن. انتقلت دائرة المعارف (التربية) إلى مكان آخر وتحولت هي ومدرسة فيصل إلى دكاكين تجارية، وتحولت ثانوية البنات إلى سوق لبيع الذهب، واصبحت مدرسة النبراس منزلاً مهجوراً شبه متداع وانتشرت محال الكماليات الرجالية والنسائية ومحال بيع الاحذية لتبتلع مقهى الحاج (شنون) في حين تقلص مقهى (نوري شنين) إلى مصطبتين خشبيتين ورواد قلائل ولكن من مثقفي المدينة.

صاحب اشهر تسجيلات في هذا الشارع وهي (الشرق) اعدم امام الجماهير لأن محله كان يبيع اشرطة (حسينية) واغلق لسنوات عديدة في التسعينيات انتشرت محال بيع الخضراوات في الشارع والعديد من الجنابر وعربات (الحاجة بربع) وملابس (البالات) وانتشر المتسولون وتجمعات الريفيين الذين قدموا من الاهوار لغرض المعالجة. انتشرت محال بيع الفلافل، والشاي، والدهينة، والكرزات وباعة السمك. بعض البيوت التراثية ذات المعمار المميز التي هدمت لتصبح ورشات وعيادات ومعامل صغيرة وبدأ كل صاحب محل او عيادة او معمل يرمم ويبلط واجهة مكانه من دون تنسيق مما جعل الشارع شبه (زرق ورق) وعلينا ان لا ننسى ان الشارع بلا انابيب صرف صحي لهؤلاء فغالباً ما تجتمع المياه في احد الاماكن المنخفضة او تتحول قطعة ارض متروكة إلى مكان لجمع النفايات.

يقول احد السكان القاطنين قرب الشارع واسمه (احمد) ان آخر عملية صيانة جرت عليه هي في عام ١٩٧٣.

ماذا نريد؟

نتمنى ان تهتم ادارة محافظة ميسان بشارع التربية لما يحمل من ارث ثقافي وتعليمي وان تقوم الملاكات التابعة لبلدية العمارة بتبليط الشارع ومنع الباعة الجوالين من الجلوس فيه ورفع النفايات، ومن الضروري جداً ان تأخذ ادارة محافظة ميسان على عاتقها اعادة الحياة إلى البيوت التراثية الموجودة في هذا الشارع لما تشكله من قيمة جمالية. الكثير من سكان العالم يحتفون باماكنهم المميزة ويجعلونها اشبه بمتاحف وهذا ما يستحقه شارع التربية في مدينة العمارة اليوم.